محاضرة رقم: 04.

رابعاً: الغاية والهدف من الأخلاقيات التطبيقية

الهدف من الأخلاق التطبيقية هو حل لمشكلات واقعية تولد وتنشأ عن ممارسة العمل.

خامساً: علاقة الأخلاق التطبيقية بالحقول المعرفية الأخرى

إذا كانت التقنية قد اقتحمت ميادين جديدة، واستحدثت أيضاً تساؤلات جديدة، فليس أمام إنسان اليوم من سبيل أمام هاته الثورة العلمية الهائلة سوى مواكبة تلك التساؤلات والتي تدور في مجملها حول مستقبل الإنسان والأرض.

فالمواضيع الحساسة التي تهم مجتمعنا المعاصر هي التي ينبغي أن نوجه لها السؤال الأخلاقي اليوم، فمثلاً:

1- الأخلاق التطبيقية والاقتصاد

كأن نُشرع لأخلاقيات التجارة والاقتصاد، هذا المجال الذي يسوده الجشع والحيلة والخداع سعياً وراء الربح بأي ثمن وبأية طريقة، ومن أجل تجنب الأزمات الاقتصادية وسياسة احتكار الأسواق المالية والتجارية، واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، ومكافحة الفقر...، هنا تكمن علاقة الأخلاق التطبيقية بالاقتصاد. على الرغم من أن دنيا الأعمال يبدو فيها كل شيء مباحاً، لذا يجب" إتباع مبدأ المسؤولية، وهو مفهوم-

مفتاح في عصرنا"[1]، لقد ذاعت حمى الدعوة إلى الالتزام الأخلاقي في المجال التجاري كل بقاع العالم خاصة المتطور منه، من منطلق احترام الشريك وعدم معاملته بازدراء، بحثاً عن المصلحة العامة.

2- الأخلاق التطبيقية والإعلام

إن التطور التكنولوجي الهائل في وسائل الإعلام والاتصال، والمجال الرقمي عموماً يقتضي ذلك إلى سياسة أخلاقية خاصة، من أجل أخلقة هذا المجال لحساسيته داخل المجتمع.

مشكلة الإعلام مشكلة قديمة بدليل هجاء بلزاك ***Balzac*** لعالم الصحافة هجاءً مراً قائلاً" الصحيفة عوضاً عن أن تكون كهانة... صارت تجارة. وهي كسائر صنوف التجارة، دون إيمان ولا قانون"، فالإنسان أصبح يعيش أزمة حادة في زمن يسوده السمعي البصري، حيث تكثر المعلومات دون أن تخدم الحقيقة تقول روس[1]، ناهيك عن الزمن الراهن، الذي تكثر فيه الدعاية، وسائل إعلامية تثير الفتن وتشعل فتيل الحروب بين الأمم، زمن شهدت وسائل الإعلام والتواصل قمة التطور والرقي، إنها في منتهى الدقة، إنها أدوات للترويج لما لا ينبغي الترويج له بحكم رداءة صورته الأصلية.

---

[1]- جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة وتقديم: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص127.

[1]- نقلاً عن: جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص129.

من واجب وسائل الإعلام المختلفة التحلي بروح المسؤولية تجاه المشاهد أو القارئ، فاختيار البرامج التلفزيونية مثلا يجب أن يكون في منتهى تطلعات الجمهور، مع ضرورة احترام أخلاقه السائدة في الوسط الاجتماعي إذا ما تعلق الأمر بالإعلام المحلي.

أما من الناحية الفلسفية فإن يورغن هابرماس يمثل قطبا مهما في إرساء فلسفة جديدة في هذا الشأن حيث انتقل من العقلانية الآداتية إلى العقلانية التواصلية، إذ يرى أن" أخلاق التواصل هي البديل عن العقل الأداتي الذي يرى أن العقل هو الأداة التي تحقق كل غايات الإنسان"[1]، حيث أسس فلسفة وأخلاق جديدتين، " فالفكر المعاصر يفترض في الواقع منعطفاً، تغير الطراز، انتقالاً: انتقالاً من فلسفة الشعور إلى نظرية مرتكزة على اللغة والعلامات اللسانية"، فالعقلانية الاتصالية إنما تفهم تبع ما أطلق عليه (دوميت) و(هابرماس) اسم المنعطف اللغوي، فتقدم لنا اللغة في نظر هابرماس مفتاحاً للأخلاق، ففي نظره دائماً أن فكرة غزو التخلق عبر الفاعلية الاتصالية، تبدو بلا ريب فكرة مهمة لتأسيس المشروع الأخلاقي لعصرنا[2].

3- اتصال الأخلاق المعاصرة بالسياسة

---

[1]- محمد بن سباع، الفلسفة الأيكولوجية عند هابرماس (نحو أخلاق جديدة لمستقبل الطبيعة والإنسانية)، مجلة العلوم الاجتماعية، دورية صادرة عن جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، المجلد 15، العدد 26- 2018م، ص93.

[2]- جاكلين روس، المرجع نفسه، ص50- 77.

عندما يشعر المواطن أنه غارق وسط إدارة مغلفة، ينبعث عنده مطلبٌ أساسيٌ أخلاقي، يتمثل في الرغبة في إعادة صياغة المثل الأعلى، لتجديد الثقة بين الحاكم والمحكوم. حسب مؤسس علم الأخلاق التقليدي الفيلسوف اليوناني أرسطو فإن السياسة والمجتمع لا يمكن فصلهما عن السياسة.

هذا ما ذهبت إليه فلسفة الأخلاق المعاصرة مع الفيلسوف الأمريكي جون راولز *J. Rawls* ، فإنه يوضح لنا أن المبادئ السياسية تستلزم أسساً من النمط الأخلاقي لتكون أساساً واقعياً لها، تقول روس" أليست العدالة عند رولز الفضيلة الأولى للمؤسسات الاجتماعية؟ بيد أن الفضيلة تُكتب في سجل الأخلاق النظرية والأخلاق"[3].

ظهرت فكرة العدالة من جديد عند راولز، حيث أعطى للتفكير السياسي في كتابه (نظرية العدالة) زخماً قوياً، يتطابق مفهوم العدالة هذا، الذي يشكل أفق الألفية الثالثة، عند راولز مع قواعد تنظيم اجتماعية بطريقة تنتظم معها الفوارق لصالح الناس المحرومين أكثر من غيرهم، المقصود في النهاية تأمين تنظيم الليبرالية عن طريق تصحيح التفاوت[1].

---

[3]- جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص132.

[1]- جاكلين روس، مغامرة الفكر الأوربي: قصة الأفكار الغربية، تر: أمل ديبو، مراجعة: زهيدة درويش، كلمة، أبو ظبي، الإمارات، ط1، 2011م، ص410.

ففكرة العدالة هذه تعبر عن أيديولوجية الدولة الراعية، التي ترعى حقوق المواطن خاصة المحروم منه، هنا الاهتمام بالمبادئ المسيطرة على توزيع المنافع الاجتماعية توزيعاً موائماً، وعلى إعطاء الحقوق والحريات.

من جهة أخرى فإن القانون والأخلاق غير منفصلين، بينهما صلة وثيقة، مردها إلى أنهما نشأ من مصدر واحد هو العيش في جماعة، ثم يجب ألا ننسى أنه القانون، مهما كان هناك فرق بينه وبين الأخلاق فإنه يشمل وفقاً للتطور التاريخي على قدر كبير جداً من القواعد والضوابط الأخلاقية، أضفت عليه الدول وسائل القهر الخارجي، وحولته بذلك غلى قواعد قانونية، ويزداد تأثراً القانون الأخلاقي، كواجب رب العمل في تأمين العمال من حوادث العمل، أو أمراض المهنة، لقد تول ذلك من واجب أخلاقي إلى حق يكفله القانون.

ومن مظاهر تأثر القانون الأخلاقي أيضاً علاقة الأسرة من حيث هي نظام زواج، أين يتم تشريع بعض الضوابط في هذه العلاقة الاجتماعية كتحديد واجب الزوجين تجاه بعضهما البعض مثلاً، أو واجبات الآباء تجاه أبنائهم.

كذلك المواثيق والاتفاقيات التي تحدد حدود العلاقات الدولية، بين ما هو كائن وما يفترض أن يكون.

4- الأخلاق المعاصرة والدين عند ايمانويل ليفيناس *E. Levinas*[1]

الإتيقا والدين من أبرز المحاور التي تضمنتها فلسفة ليفيناس، محاولا من خلال هذه الفلسفة تحديد مدى ارتباط الدين بالأخلاق *Ethique*، ومدى مساهمة كل منهما في بلورة تفكيره الفلسفي. ومن دون شك فإن المبدأ الديني يصلح كإطار أساسي لتحديد الخير والشر، وهو بمثابة أساس لمنظومة القيم الأخلاقية، لكن مايثر التساؤول هو مدى مساهمة هذه المنظومة في تأسيس إتيقا ليفيناس الموجهة نحو الغير.

يسعى ليفيناس في إتيقا الوجه إلى تبيان ارتباط الأخلاق بالدين، وتحديد طبيعة الرابطة التي تجمع بينهما، فالوجه الذي يتحدث عنه دائماً يتعلق بغير هذا الوجود، وكذلك علاقته بالإله، أما ما ينبغي توضيحه هو أنه في حالة اتخاذ الاتيقا للدين مرجعاً، يكون الإنسان مقيداً ومنقاداً لأوامر الرب، وإن كان الأمر كذلك، فإنه لن تكون له حرية في المعاملة مع الغير، أما في حالة العكس فإن الأنا لا يخضع لأي مرجع أو منهل حتى يكون اتيقياً تجاه الآخر.

لقد فكر ليفيناس في التقليد التلموذي والتوراة متخذاً الدين بؤرة الهام للأخلاق النظرية، غير أن مقاربته تظل مقاربة فينومينولوجية، فهو لم يقم الأخلاق على أساس

---

[1]- إيمانويل ليفيناس *E. LEVINAS* (1906-1995م): فيلسوف فرنسي من أصل لتواني، تمحورت فلسفته حول سؤال الأخلاق والميتافيزيقا. درّس في عدة جامعات آخرها جامعة السربون بفرنسا. أصدر عشرات المؤلفات والدراسات والمقالات، من أهمها:(نظرية الحدس في فينومينولوجيا هوسرل سنة 1930م)، و(الزمان والآخر 1980م)، و(الله والموت والزمان 1995م)، (قراءات تلمودية جديدة 1996م). وغيرها من المؤلفات.

ديني، بل على تجربة الآخر، أو بما يسميه ب(فينومينولوجا الوجه)، هذه التي تفرض علي إبعاد العنف، تقول روس في كتابها (الفكر الأخلاقي المعاصر)" يتضح إذن أنه من المتعذر النظر إلى الاستشهاد التوراتي على أنه سلطة، فالأخلاق النظرية تفهم انطلاقاً من تجربة الوجه، وغاية ما في الأمر أن الفلسفة هي المتقدمة عند ليفيناس، وأن الأخلاق النظرية تستند إلى تجربة الأخر وليس إلى تجربة المقدس، ولئن كانت تتغذى من التقليد التوراتي أو التلمودي فإنها لا تخضع له"[1]. مما يعني أن ليفيناس قد جعل من الوجه قداسة أكثر من المقدس ذاته، أي أنه استبدل الدين بالإيتقا، وتخلى على دروب التخلق التي ترسمها المناهل اليهودية فأسبقية التوجه إلى الغير على حساب التوجه للإله، لكن رغم ذلك يبقى الوجه مفتوح على الإله، والولوج للوجه هو ولوج للإله، يقول ليفيناس" بالنسبة لي، الدين الحقيقي هو الذي نفكر فيه انطلاقاً من إلزام وأمر كلام الإله الموجود في وجه الإنسان الآخر"[2]، وهنا يكون ليفيناس قد استبدل الدين بالعلاقة الإيتقية مع الإنسان الآخر، أما عن الإله تكون الإيتيقا شاهدة عليه.

لقد استبدل ليفيناس الدين بالإيتيقا، إنه يعي أن المقدس يتجلى بالسؤال على إنسانية الأخر، وأنه ليس من العيب التحدث عن الإيتيقا بهذا المعنى بدلاً من الدين نفسه، يقول ليفيناس" ولتكن التوراة نتيجة للنبوة التي تشهد له، وأنا أقول إن التجربة الإيتقية

---

(1)- جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص35.

(2) - *Emmanuel Levinas, De L'oblitération, Entretien avec Françoise Armengaud à propos de l'œuvre de Sosno, Edition de la différence, Paris, 2éme Edition, 1990, p.26.*

مودعة على شكل كتابة، من هذا كله أنا مقتنع. لكن هذا يتفق تماماً مع إنسانية الإنسان باعتبارها مسؤولية من أجل الآخر التي كانت معرضة في مؤسستنا"[3].

غير أن تصور طه عبد الرحمن في الفكر العربي الإسلامي المعاصر عن العلاقة التي يمكن أن تربط بين الدين والأخلاق، فقد جاءت في كتابه (سؤال الأخلاق) بوصفه مساهمة نقدية للحداثة الغربية، نظرته مغايرة لنظرة العديد من الفلاسفة الغربيين المعاصرين أمثال ليفيناس، فهو يرى أن العلاقة وطيدة، ويتضح ذلك في قوله" فكل مفهوم ديني هو في نفس الوقت مفهوم إنساني ومعنوي وغيبي؛ لذلك، يكون الفلاسفة قد أصابوا حينما نسبوا المفاهيم الأخلاقية إلى الإنسانيات والمعنويات، لكنهم أخطئوا حينما قصروها على هذين المجالين ولم يتعدوا بها إلى مجال الغيبيات، والواقع أن هذه المفاهيم لا تقل نسبتها إلى الغيبي عن نسبتها إلى الإنساني والمعنوي، فهي، على الحقيقة، مفاهيم إنسانية معنوية غيبية منها في ذلك مثل المفاهيم الدينية أو قل، بإيجاز، لا أخلاق بدون غيبيات كما لا دين بدون غيبيات.

وهكذا، تكون أسباب الأخلاق موصولة بأسباب الدين، حتى إنه لا حدود بينة مرسومة بينهما؛ وهاهنا حقيقة نرى الفلاسفة فيها بين مقر بها ومنكر لها ومتردد فيها، لا لشيء إلا لكون حقيقة الدين أعجزت العقول، فافترق الناس فيها بين مؤمن بها وجاحد لها وشاك فيها، مع أن هؤلاء وأولئك يعترفون جميعا بأن ظهور الدين مقرون بظهور الإنسان ؛ ومتى صح وجود هذا الاقتران بين الدين والإنسان في الأصل، فإنه يكون من

---

(3) - *Emmanuel Levinas, Ethique et Infini, Libraire Arthéme Fayard et Radrie, France, 1982. P.114.*

العبث الشك في أن ملكات الإنسان قد أشربت بالروح الدينية إلى حد بعيد"[1]، لقد جعل الجمع بين الأخلاق والدين أصل الأصول.

[1]- طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المرجع السابق، ص25.